ريتشارد ولهلم فاجنر

Richard Wilhelm Wagner

٢٢ مايو ١٨١٣ — ١٣ فبراير ١٨٨٣

ولد ريتشارد فاجنر بمدينة ليبزج حيث كان والده فردريش فاجنر » موظفا بشرطة المدينة ولكنه كان مغرما بالأدب والمسرح وتوفى بعد ولادة ريتشارد بستة أشهر بمرض التيفوس . انتقلت والدة ريتشارد « جيوفانا برتز » بعد وفاة والده إلى مدينة درسدن حيث تزوجت فى سنة ١٨١٥ من الممثل والرسام والمؤلف الدرامى « لودفيج جيير » الذى كان صديقا لزوجها المتوفى والذى توفى هو الآخر سنة ١٨٢١ ، وكان نعم الأب بالتبنى لريتشارد . نتج عن هذا الزواج الثانى لوالدة ريتشارد طفلة اسمها « سيسيل » ، وأصبحت الأخت غير الشقيقة المقربة إلى قلب ريتشارد .

عندما بلغ ريتشارد فاجنر الثالثة عشرة بدأ يترجم بعض أشعار هوميروس ويكتب بعض الشعر وكان فى الوقت نفسه يتلقى دروسا فى العزف على البيانو ولكنه لم يظهر تفوقا ملحوظا . عندما سمع فاجنر لأول مرة إحدى سيمفونيات بيتهوفن اهتزت مشاعره وحاول أن يقلده فدرس الكمان وقواعد التلحين وأبدى اهتماما خاصا بدراسة موسيقى بيتهوفن وعقد العزم على أن يكون موسيقيا وأخذ يتلقى دروسا فى الموسيقى .

عندما بلغ السابعة عشرة قدم قطعة موسيقية من تأليفه عزفت على المسرح أثناء الانتراكت ولكنها قوبلت بالسخرية من المشاهدين مما اضطره إلى المزيد من دراسة الألحان والنوتة الموسيقية .

فى سنة ١٨٣١ التحق فاجنر بالجامعة ولكنه كان شغوفا برؤية فينا عاصمة الموسيقى فى أوربا فى الوقت الذى كانت فيه مسارح فينا وصالات موسيقاها تعج بالقادمين إليها من أمثاله فغادر فينا حزينا مكتئبا .

كانت لفاجنر شقيقتان (لويزا وروزالين) تعملان بالغناء فى المسارح تعلم منهما شيئا عن فن الأوبرا ، وعندما بلغ التاسعة عشرة بدأ فى كتابة

أوبرا أسماها Die Hochzeit ولكنه — بناء على نصيحة من شقيقته تركها ليكتب أوبرا أخرى أسماها Die Feen (الحوريات) أتمها فى سنة ١٨٣٤ ولم تعرض إلا بعد وفاته بخمس سنوات .

فى سنة ١٨٣٣ أصبح فاجنر رئيساً للكورس في مسرح Würzburg ثم قائدا للاوركسترا فى مسرح صيفى فى Lauchstadt . وفى الشتاء فى مدينة ماجد بورج سنة ١٨٣٤ .

فى مارس ١٨٣٦ وفى مدينة ماجدبورج أتم فاجنر أوبرا أطلق عليها اسم « الحب المحظور » (Das Liebesverbot) ، وقصة هذه الأوبرا كتبها فاجنر بنفسه كعادته على نسق مسرحية لشكسبير اسمها (Measure for Measure) وبعد أن أمضى فاجنر عشرة أيام فى الإعداد لعرض هذه الأوبرا فشلت فشلا ذريعا فلم يكن أحد من المغنيين يعرف كيف يؤدى دوره ونسى أغلبهم النص الذى عهد إليهم بأدائه . ولكن فاجنر قدمها مرة ثانية فى اليوم التالى ، غير أن فريق الممثلين تشاجروا فيما بينهم فرأى فاجنر أن يعيد ثمن التذاكر للمشاهدين ووقف خلف درفة باب الخروج يرى المشاهدين وهم يستعيدون ثمن تذاكرهم عند خروجهم وهو كسير القلب غضبان أسفا . وأفلس المسرح ولم تعرض هذه الأوبرا بعد ذلك .

كان من بين مغنيات الفرقة فتاة تؤدى دوراً ثانويا واسمها « ولهلمينا بلانر » تكبر فاجنر بخمس سنوات ولها أبنه تبدو وكأنها شقيقتها الصغرى . اشتهرت ولهلمينا باسم Minna Planer فتزوجها فاجنر فى نوفمبر ١٨٣٦ وأصبحت زوجته الأولى .

بعد إفلاس مسرح ماجدبورج انتقلا إلى كوينزبورج . وفى الربيع التالى أفلس هذا التياترو هو الآخر ودخل فاجنر وزوجته فى فترة عوز .

حصل فاجنر بعد ذلك على عمل فى مسرح بمدينة ريجا على بحر البلطيق ، وفى هذه المدينة بدأ كتابة Rienzi وهى أوبرا طويلة جدا . انتهى عقد فاجنر بالمدينة قبل أن ينتهى منها فرأى فاجنر أن يغادر — هو وزوجته —

مدينة ريجا هربا من الديون التى تراكمت عليه . لم يكن من السهل عليه أن يغادر المدينة بعد أن رفضت السلطات السماح له بالمغادرة . تمكنت زوجته من الهرب متخفية ، وكان عليه هو أن يختبأ فى كشك من أكشاك خرس الحدود تركه حارسه ثم غافل حرس الحدود وفر هاربا ، واتجهت خطته إلى الهرب إلى باريس وكانت رحلة غاية فى القسوة إذ استغرقت أربعة أسابيع من التنقل على سواحل النرويج .

عاش فاجنر — هو وزوجته — فى باريس من سبتمبر ١٨٣٩ إلى أبريل ١٨٤٢ فى حالة عوز شديد ولكنه أتم كتابة Der Fliegende Holländer, (الهولندى الطائر) . لم تكن إقامته هو وزوجته بباريس إلا سرابا مخيبا لآماله . فى باريس عرفا البؤس والضنك وهذا ما دعا فاجنر إلى الشعور بالكراهية لباريس وللمجتمع الفرنسى وحتى للغة الفرنسية ، وكان يتصور بأن باريس سوف تجلب له المجد .

فى خريف ١٨٤٢ دعى فاجنر إلى مدينة درسدن لكى يقدم أوبرا Rienzi (اسم الأوبرا بالكامل هو « ريينزى آخر محام عن الشعب ») لأول مرة ، وكان عليه أن يدبر مصروفات رحلته وزوجته إلى درسدن بصعوبة بالغة . وفى درسدن قدمت أوبرا Rienzi لأول مرة وكان المسرح ملآنا بالمشاهدين ولكن النعاس كان قد استولى على الكثيرين لطول الأوبرا إذ بدأت فى السادسة ولم تنته إلا عند منتصف الليل ورغما عن ذلك فقد قوبلت بنجاح رائع وأعطت فاجنر جرعة كبيرة من التشجيع والأمل ، ووضح تعلق فاجنر بوطنه ألمانيا الذى كان يقابله ازدياد كراهيته لفرنسا .

عين فاجنر بعد ذلك قائدا لأوركستر الأوبرا الملكية ولكن عندما عرض Tannhâuser لم تقابل بحماس فى سنة ١٨٤٥ ، كما رفض المشرفون على الأوبرا عرض Lohengrin سنة ١٨٤٨ وكانت خيبة أمل لفاجنر ومصدر مرارة فى نفسه (ولكنها عرضت فى شهر أغسطس سنة ١٨٥٠ فى ألمانيا) .

كانت الأوبرا التالية لفاجنر (الهولندى الطائر) وكانت فكرتها قد طرأت على فاجنر عندما كان فى ريجا بعد أن قرأ أسطورة قديمة واستقرت فى ذهنه عند هروبه من ريجا فى رحلته الشاقة إلى باريس . لم تقابل هذه الأوبرا بالحماس الذى قوبلت به « ريينزى » ولذلك صرف النظر عن عرضها .

الواقع أنه منذ سنة ١٨٤٥ أخذ نجم فاجنر فى الصعود وبدأت أعماله تعرض بنجاح فى مدن ألمانيا الكبيرة .

ولكن عندما اندلعت الثورة الفرنسية فى سنة ١٨٤٨ وانتشرت مبادئها فى أنحاء أوربا أظهر فاجنر تعاطفا شديدا مع مبادئها التحررية . وعندما فشلت الانتفاضه فى مدينة درسدن فى مايو ١٨٤٩ وصدر أمر بالقبض عليه هرب فاجنر إلى زيوريخ وهنا قام الموسيقار Liszt بقيادة موسيقى « لوهنجرين » فى مدينة Weimar يوم ٢٨ أغسطس ١٨٥٠ بنجاح كبير .

فى سويسرا نشر فاجنر آراءه الثورية والفلسفية فى مطبوع أسماه « فن وثورة » « العمل الفنى فى المستقبل » و « أوبرا ودراما » (سنة ١٨٥٠) و « رسالة إلى أصدقائى » (سنة ١٨٥١) وفى زيوريخ عكف فاجنر على كتابة Nibelung's Ring . ثم سافر ثانية إلى باريس وبقى بها من سبتمبر ١٨٥٩ إلى فبراير ١٨٦٢ ولم تغير إقامته الجديدة هذه من شعوره نحو باريس . إذ تمكن من عرض أوبرا « تانهوزر » بدار أوبرا باريس يوم ١٣ مارس ١٨٦١ بوساطة من أميرة ميترنيخ لدى نابليون الثالث ولكنها فشلت رغما عن إدخال رقص الباليه إلى النص مما زاد من حنق فاجنر على المجتمع الفرنسى . بعدها سافر إلى فينا حيث قدمت Lohengrin لأول مرة .

فى تلك الفترة كانت الفوضى تخيم على ألمانيا وطرأت على حياة فاجنر فترة عصيبة من القلق وعدم الاستقرار .

لعدة سنوات تالية لم ينتج فاجنر عملا متكاملا سوى تفكيره الدائم فى

المشروع الضخم Nibelung's Ring المستمد من شعار ألمانى شعبى Folk—Saga ، وكانت فكرة Nibelungenlied تختمر فى ذهنه . لم يثبط من عزيمته ضخامة العمل الذى يفكر فى تنفيذه لا سيما وأن فاجنر كان يقوم بنفسه بكتابة نصوص أعماله .

فى ربيع ١٨٦٢ استقر فاجنر على ضفاف نهر الراين فى Biebrich بعد أن سمح له بالعودة إلى ألمانيا بتوسط من أميرة ميترنيخ ولينكب على كتابة أوبرا Die Meistersinger Von Nûremberg (أساتذة الغناء فى نورمبرج) ولكن فاجنر عاد إلى فينا فى نهاية العام حيث بقى بها حتى مارس ١٨٦٤ وكان واقعا تحت ملاحقة دائنيه وتهديدهم له ، حتى وصل به الحال إلى درجة الضيق المادى بتفكيره فى الانتحار .

فى هذه الفترة الحرجة من حياة فاجنر تلقى فى سنة ١٨٦٤ — وهو بمدينة شتوتجارت هاربا من دائنيه — دعوة من ملك بافاريا الشاب «لودفيج الثانى » — وكان قد تولى العرش منذ بضعة أيام قلائل — حمل الدعوة إليه سكرتير الملك الخاص ومعها صورة الملك وخاتم به حجر كريم أحمر رمز ا لحسن النوايا — للحضور إلى قصر الملك فى ميونيخ كصديق ومستشار فنى . قدم الملك إلى فاجنر منزلا فى موناكو (بافاريا) وطلب إليه عرض أوبرا Tristan und Isolde وتبين لفاجنر بأن الملك الشاب يحمل له إعجابا كبيرا .

فى أثناء إقامته فى كنف الملك فى ميونيخ مر فاجنر بتجربة غرامية مع زوجة أحد زملائه . كان للموسيقار المجرى العالمى وعازف البيانو ذائع الصيت Franz Liszt (١٨١١ — ١٨٨٦) ابنتان « بلاندين » و « كوزيما » (وفرانز ليست هذا هو الذى جمع التبرعات لبناء النصب التذكارى لبتهوفن فى مدينة بون) . فى ميونيخ قدم فاجنر أول عرض لأوبرا Tristan & Isolde سنة ١٨٦٥ وكان يقود الأوركسترا « هانز فون بيلو » زوج كوزيما التى كانت تعيش مع فاجنر منذ فترة طويلة . قبل هذا العرض بشهرين فقط كانت كوزيما قد أنجبت طفلة ، وأخذ فاجنر

يتدارس مع « هانز فون بيلو » أيهما يكون والد تلك الطفلة ، ولكنهما ظلا صديقين .

فى يناير ١٨٦٦ وبينما كان فاجنر فى مرسيليا تلقى نبأ وفاة زوجته « مينا بلانر » ، ورغما عن أنها كانت منفصلة عنه منذ ١٨٦١ فقد تركت كتابا قالت فيه بأن فاجنر كان فى كل الأحوال ، فى العوز وفى الرخاء وفى المرض ، كريما معها .

اضطر فاجنر إلى ترك ميونيخ والنزوح إلى المهجر ثانية فسافر إلى جنيف وانتهى به الحال إلى أن يستقر فى مدينة Triebschen على ضفاف بحيرة لوسرن . فى فبراير ١٨٦٧ انجبت كوزيما طفلة ثانية من فاجنر أسماها فاجنر « إيفا » تخليداً لاسم بطلة أوبرا Maitres Chanteurs (اساتذه الغناء) والتى عرضت بعد ذلك سنة ١٨٦٨ ، وكان يأمل أن تنال إقبالا كبيراً فيتمكن من عائدها أن يبنى داراً للأوبرا ، وقام « هانز فون بيلو » بقيادة موسيقاها — بعد أن ظل على صداقته لفاجنر ، ونالت الأوبرا ، ونال العرض والأداء نجاحاً كبيراً .

فى مطلع سنة ١٨٦٩ أنفصل « هانز فون بيلو » عن زوجته كوزيما التى انجبت لفاجز أبناً يوم ٤ سبتمبر ١٨٦٩ أسماه Helferich Siegfried Wagner فتزوجها فى الكنيسة البروتستانتية فى لوسرن .

فى سبتمبر ١٨٦٩ قدم فاجنر بمدينة ميونيخ أوبرا Das Rheingold (ذهب الراين) ، وفى شهر يونية من العام التالى قدم أوبرا Die Walkûre (اوبرا تجمع بين اسطورة اسكندنافية قديمة واسطورة المانية) .

كان فاجنر يحلم بأن يبنى لنفسه مسرحاً خاصاً به فاشترى قطعة أرض فى بلدة Bayreuth (بافاريا) وبنا فيها لنفسه فيلا ودعا أهل البلدة إلى الاكتتاب لإقامة مسرح باسم فاجنر يكون له طراز معمارى خاص وجديد فتكاتفت جمعيات محبى فاجنر من انحاء أوربا بالتبرع لبناء الدار وفى مقدمة من تبرعوا ملوك وأمراء .

فى ١٩ مايو ١٨٧٢ (الموافق ليوم عيد العنصره Pentecote) وضع حجر الأساس فى مبنى المسرح . وقاد فاجنر بنفسه الأوركسترا فى مسرح تياترو « مارجريف » ليعزف السيمفونية التاسعة لبيهوفن . فى سنة ١٨٧٦ تم بناء الدار وأصبح ما كان يحلم به فاجنر حقيقة واصبحت الدار تحمل اسم « مسرح فاجنر للاحتفالات » كان إتمام بناء الدار نجاحاً منقطع النظير ، وافتتح الدار بتقديم أوبرا Tetralogia ، ثم حلقة أساطير Nibelungen فى المدة من ١٣ إلى ١٧ أغسطس ١٨٧٦ ، وهى Gôtterdammerung, Siegfried, Die Walkûre, Das Reingold (فجر الآلهه) .

كانت كافة طبقات الناس يصفقون بحماس شديد لما كان يقدمه فاجنر فى تلك الدار ويرددون وهم يتنزهون ما كان بتلك الأوبرات من أغان وأناشيد وأصبح فاجنر بالنسبة لشعبه بطلا قومياً .

كان فاجنر يجلس فى منزله فى « بايروت » سعيداً مبتسماً ، كتب على مدخل منزله « انى اسمى منزلى Wahnfried لأن أمنياتى قد تحققت ووجدت الهدوء والسلام » .

(Nibelungen أساطير المانية تحكى عن أقزام يمتلكون ثروات طائلة تحت الأرض ولهم ملك اسمه Nibelung ، ولهم أشعار وأغانى تردد قصصاً لفروسيات وملحمات المانية كتبت حوالى سنة ١٢٠٠ وتتغنى بمفاخر وبطولات سيجفريد ، سيدكنوز نيبلونجن) .

فى ٢٦ يوليه ١٨٨٢ قدم فاجنر الميلودراما Parsifal من تأليفه فى مسرحه الجديد ، ثم سافر إلى مدينة البندقية طلباً للاستجمام والراحة ، ولكنه أصيب فى ١٠ فبراير ١٨٨٣ بنوبة قلبية توفى على أثرها بالغاً من العمر سبعين عاماً ألا ثلاثة أشهر ، وأقيمت له جنازة شعبية فى مقره « بايروت »

فاجنر بين فنانى العالم :

عاش فاجنر وكتب وأنتج على نطاق واسع ، عاش حياة غاية فى

النشاط مملوءة بالعاطفة والفاقة ، وكان انتاجه غزيراً على مستوى رفيع وعملاقاً فى تفكيره وفنه . فرض فاجنر شخصيته وفنه على العالم وكانت موسيقاه مبتكرة وكما كانت مبتكرة كانت أيضاً رائعة ، كان هدفه أن يعيد تشكيل الأوبرا لكى يجعل توافقاً تاماً بين النص والموسيقى أى أن لا تعتمد الأوبرا على الموسيقى فقط بل على الكلمة والشعر والآداء وعلى تجهيز المسرح ثم على الموسيقى . كان فاجنر فى موسيقاه مجدداً مبتكراً وتمتاز موسيقاه بخاصتين رئيسيتين فى أوبراته ، فالموسيقى عند فاجنر جزء لا يتجزأ من الدراما ، وهذه الموسيقى مفسرة ومؤيدة وفى بعض الحالات تحل محل الكلمات . هذا النوع الجديد قوبل بخصومة شديدة ولم يتقبلها الناس فى أول الأمر بسهولة ، ولذلك كان على الناس أن يعتادوا على سماع هذا النوع الجديد .

كان فاجنر دون جدال من أعظم مؤلفى الأوبرا الذين عرفهم العالم وأوجد لوناً ساطعاً للموسيقى الألمانية ونحا جانباً التكوين الإيطالى للأوبرا وأوجد لأول مرة الدراما الموسيقية ، الموسيقى الملتحمة بالكلمات ، لا الكلمات المشبوكة إلى الموسيقى ، فرض نظريته على العالم فى بطئ بما أنتجه من روائع .

كان فاجنر قد قدم بعض أعماله فى عدة حفلات فى قاعة « البرت هول الملكية » بلندن ، لم تكن القاعة ممتلئة ولم تقابله الصحافة البريطانية بحماس ولكن أحد نقاد الموسيقى البريطانيين وصف أعماله بأنها « موسيقى المستقبل » ، ورغماً عن اختلاف الآراء فيما انتجه فان اسم فاجنر يظل عالياً فى قائمة عمالقة الفنانين لهذا العالم . لم يلجأ فاجنر إلى كاتب مسرحيات بل كان يكتب نصوص اوبراته بنفسه ، كان ينشد الاتحاد الذى لا ينفصل بين الشعر والموسيقى . كان يفضل الأساطير عن الحقائق التاريخية ، كما كان يفضل الشعر الشعبى على شعر الأدباء المرموقين ويقول بأن الأسطورة هى قصيدة شعر بدائية شعبية ومجهولة الاسم .

كان فاجنر مؤمناً بأن المسرح هو المكان المفضل لأنصهار كافة الفنون ، ليس انصهاراً للشعر والموسيقى فقط ولكن انصهاراً أيضاً للرقص والتمثيل

الصامت والرسم وكافة الفنون التى تدخل الرضى والسرور إلى النظر ، وبالجملة انصهاراً لكافة ألوان وأشكال الفن الإنسانى ، ولذلك فقد كان فاجنر يعتبر المسرح مكاناً مقدساً . وقد غزت أوبرا فاجنر العالم بسبب قدرتها على الاستيلاء على مشاعر المشاهد وتحريك عواطفه وحواسه .

قال Liszt ، الموسيقى العالمى ذائع الصيت « أن فاجنر مثل بركان « فيزوفيو » يقذف حمماً ولكنه حمم مصحوب بالورود والرياحين ، وأعطى للبشرية موسيقى ذات جمال جديد » .

لا غرو إذن إن كان فاجنر عبقرية نادرة فى قوتها ، كان يغلب على إنتاجه دائماً الطابع الوطنى الألمانى ولهذا أحبه هتلر وأحب موسيقاه ، وكان يرى فيها صورة المانيا التى كان يحلم بها .